هجرة الكفاءات العلمية، أسبابها، تداعياتها وإمكانية الحد منها.

أ. محمد البشير زروق(*)

ملخص الدراسة

إنَّ هجرة الكفاءات ظاهرة قديمة تعود الى بدايات تطور العلم، فلا يكاد يخلو زمان من هجرة العلماء لأسباب متعددة أملتها ظروف الحياة الانسانية وغذاها تفاوت التقدم الحضاري بين دول العالم المختلفة وتمايزه عبر العصور. وقد ارتبط العلم بالرحلات سعيا لطلبه وكان من الطبيعي أن يهاجر علماء أمة ما إلى مكان آخر اذا انعدمت الاذان الصاغية ولإحساسهم بمضايقات من جهة ما.

وارتبط مصطلح هجرة الكفاءات بمرادفات كثيرة، لكن مهما تعدَّدت هذه المترادفات فإنَّ المعنى العام يبقى واحدا، ويقصد به، انتقال الرأسمال البشري المؤهل علميا وفنيا من بيئة إلى بيئة أحسن، تتوفر على شروط أفضل للبحث والابتكار والعطاء العلمي، وتحقق مستويات معيشية أحسن. هذا الانتقال يكون إراديا أو قسرا وبصفة دائمة أو مؤقتة.

ومن الأسباب التي تدفع الكفاءات إلى ترك أوطانها مكرهة في الكثير من الاحيان عوامل ذات أبعاد سياسية واقتصادية واجتماعية وعلمية، وهي ما يطلق عليها عوامل الدفع أو الطرد، وعوامل اخرى في شكل مغريات ووسائل وإمكانات، ويطلق عليها إسم عوامل الجذب أو الاستقطاب. مما أدى إلى آثار سلبية انعكست مظاهرها في تخلف عملية التنمية للدول المصدرة لكفاءاتها وزيادة تبعيتها للدول المتقدمة المستقطبة لتلك الكفاءات.

---

*) أستاذ – باحث بكلية العلوم السياسية، تخصص تنظيمات سياسية وإدارية، جامعة صالح بوبنديـر– **قسنطينة 3** – الجزائر.

لذلك فإنَّ الحكومات في دول العالم الثالث اليوم مطالبة باسترجاع ثروتها البشرية المهاجرة، لإيجاد سبل وحلول لمشاكلها المتعددة الأبعاد، ومحاولة تقليص الفجوة بينها وبين الدول المتقدمة. ولاشك أنَّ حل هذه الظاهرة يكمن في النظر في أسبابها والعمل على حلها وفوق هذا كله توفر الإرادة السياسية المرتبطة أساساً بالحكومات الراشدة.

مقدمة

تعتبر هجرة أو نزيف الكفاءات أو الادمغة، واحدة من أبرز المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والامنية والثقافية، المطروحة في البلدان النامية، منذ أن باشرت هذه البلدان بوضع البرامج للنهوض بأوضاعها المتردية الموروثة عن حقب طويلة من الحكم الاستعماري، وعمقتها السياسات الحكومية للأنظمة التسلطية لبعض دولها، فأصبحت ظاهرة هجرة الكفاءات تقف حاجزا في طريق تنمية حقيقية متينة الأسس، وتتسبَّب في حرمان هذه الدول من الاستفادة من خبرات ومؤهلات هذه الكفاءات.

وقد بات من الضروري اليوم، في عالم احتدمت فيه المنافسة بين الدول لاحتلال الريادة أن تتحرك الحكومات في البلدان النامية للحد من هذا النزيف المتواصل للكفاءات، الذي كلف هذه البلدان خسائر تقدر بالمليارات، تذهب لصالح الدول المستقطبة للكفاءات.

لذا لابد من دراسة هذه الظاهرة انطلاقا من الاشكالية الاتية:

ما هي الاسباب الحقيقية وراء ظاهرة هجرة الكفاءات، والسبل الكفيلة للحد منها مستقبلا؟

للإجابة على الاشكالية، نطرح مجموعة من التساؤلات:

1/ ما هو مفهوم هجرة الكفاءات، وهل يوجد مفهوم موحد للمصطلح؟
2/ فيما تكمن الأسباب الحقيقية وراء النزيف المتواصل للكفاءات، وآثارها السلبية على الدول النامية؟

3/ هل يمكن إيجاد حلول لظاهرة هجرة الكفاءات؟

1 . مفهوم ظاهرة هجرة الكفاءات (نزيف الادمغة)

إرتبط مفهوم هجرة الادمغة (Brain Drain) أو الكفاءات بانتقال الافراد من ذوي الكفاءات العلمية العالية من بلدانهم الاصلية الى البلدان الاكثر تقدما ، لاعتبارات سياسية واقتصادية واجتماعية وعلمية بهدف العمل أو الاقامة الدائمة ، إما مخيرين في حالات ، أو مجبرين في حالات أخرى. و هو اصطلاح أطلقه البريطانيون لوصف خسارتهم خلال النصف الثاني من القرن العشرين من العلماء والمهندسين والأطباء بسبب الهجرة من بريطانيا إلى الخارج ، خاصة الولايات المتحدة الامريكية ، "وكان أول من استعمل لفظة هجرة العقول أو نزيف الأدمغة هو وزير التعليم البريطاني الأسبق اللورد' هيلشامُ عام 1963 ، عندما قال "أنَّ الولايات المتحدة تعيش على حساب عقول أناس اخرين" ، وكان يعبر في حينها عن هجرة الكفاءات التي سببت لبريطانيا مشاكل اقتصادية في بداية الستينات من القرن العشرين"[1] ، فقد هاجر الأطباء والمهندسون والعلماء من بريطانيا إلى الولايات المتحدة الأمريكية التي عملت بدورها على فرز وتصنيف المهاجرين اليها من الكفاءات العلمية ومتابعة حركتهم والتعرف على تطوُّر إعدادهم وضبط حركة نموهم ابتداء من عام 1949م ، ومن هنا أصبح بالإمكان تحديد مفهوم للكفاءات العلمية وتتبع حركة المهاجرين والتعرف على تطوُّر أعدادهم ودوافع هجرتهم وبكل ما يتعلق بهذه الظاهرة الانسانية[2] . إلا أنَّ العبارة الآن أصبحت تطلق على جميع المهاجرين المدربين تدريبا عاليا من بلدانهم الأصلية إلى بلدان اخرى .

والهجرة من الناحية اللغوية لفظ مشتق من الكلمة (هَجَرَ) ، ومعناها الرّحيل عن المكان ، أو التخلّي عن شيء ما ، أو هي انتقال الانسان من حال إلى حال . وتعني الهجرة "الانتقال الجغرافي من منطقة الى منطقة اخرى بقصد الاقامة الدائمة أو المؤقتة"[3] . ويسمى الشخص مهاجرا عندما يهاجر ليعيش في أرض أخرى بفعل ظلم ظالم لا يعرف الرحمة ، او المغادرة إلى أرض ثانية طلبا للأمن والسكينة والعدل والعدالة والعيش الكريم[4] .

ويعرف نادر فرجاني هجرة العقول ، بأنّها «غياب العناصر البشرية الحيوية واللازمة لتحقيق العمليات الشاملة لمجتمع من المجتمعات في فترة زمنية محددة من حياته وهذا الغياب يؤدي إلى الهجرة او الامتناع عن العودة بعد قضاء فترة زمنية ، ويندرج تحت ذلك أصحاب الكفاءات العقلية النادرة والخبرات العلمية العالية

المستوى والمهارات الدقيقة التي يشكل غيابها خطورة على حياة المجتمع في حاضره ومستقبله[5].

كما تعرف هجرة الأدمغة بأنّها تحويل عالمي للموارد بشكل رأسمال بشري، وتطال إجمالا هجرة ذوي الكفاءات العالية من المتعلمين من الدول النامية إلى الدول المتقدمة، ويشمل هؤلاء إجمالا وليس حصرا المهندسين والأطباء والعلماء وغيرهم من أصحاب الكفاءات العالية والشهادات الجامعية[6].

وتعرف ايضا بأنّها تمثل الهجرة الدائمة للكفاءات أو الفئات الأكثر تعليماً وتأهيلا، عادة خريجي التعليم العالي وما فوقه، إلى خارج أوطانهم بحثا عن فرص أوسع في مجال تخصصاتهم أو عن بيئة مجتمعية أكثر جاذبية ومستوى معيشة أفضل لهم ولأسرهم[7].

وعرفها "آدمز" بأنّها: نوع من فقدان أو خسارة مصدر حيوي دون تعويض سواء من جانب الدول المستفيدة للدول الخاسرة. أو من العلماء المهاجرين أنفسهم لأوطانهم الأصلية[8]. أما منظمة اليونيسكو (UNESCO)، فتعرف هجرة العقول بأنّها: "نوع شاذ من أنواع التبادل العلمي بين الدول يتسم بالتدفق في اتجاه واحد، ناحية الدول المتقدمة، أو ما يعرف بالنقل العكسي للتكنولوجيا، لأنّ هجرة العقول هي نقل مباشر لأحد أهم عناصر الإنتاج، وهو العنصر البشري"[9].

ومن خلال التعاريف السابقة، يمكن القول بأنّ هجرة الأدمغة يقصد بها: هجرة الأشخاص المؤهلين والحاصلين على مستوى تعليم عالي من أصحاب الكفاءات والشهادات الجامعية، أما بطريقة إرادية أو قسرية، وبدوافع أما علمية أو إقتصادية أو سياسية أو أمنية، من دولة إلى دولة اخرى بقصد الإقامة الدائمة أو المؤقتة، وبهدف الحصول على عائد مادي أفضل أو لتعظيم العائد المعرفي عن طريق البحث العلمي، أو أيجاد بيئة أفضل مما هو متاح في بلدانهم الاصلية.

ويرتبط بهذا المصطلح مجموعة من المصطلحات المرادفة له والتي تعبر عن رؤى اخرى للظاهرة، مثل نزيف الأدمغة (Brain Drain)، ونزيف العقول الامثل (Optimal Brain Drain)، وتبديد العقول (Brain Waste)، وتدوير العقول (Brain Circulation)، وتبادل العقول (Brain Exchange)، وتصدير العقول (Brain Export).

ويشير هذا الاختلاف إلى مفهوم هجرة الكفاءات عبر تسميات مختلفة إلى دلالات مختلفة، إذ كانت الظاهرة تعرف في الستينات باسم نزيف الأدمغة، وأصبحت تعرف خلال السبعينات من القرن العشرين وحتى اليوم بالنقل المعاكس للتكنولوجيا، تعبيرا عن الخسارة في الكفاءات البشرية التي تنتقل من العالم النامي إلى العالم الصناعي المتقدم[10].

بينما تبنى الإعلام الغربي تسميات يرى البعض أنّها أكثر تضليلا، ولا تعبر عن المعنى الحقيقي للظاهرة، مثل النقل العكسي للتقنية، تدفق الموارد البشرية، التبادل الدولي للمهارات. وهي مصطلحات أو مفاهيم توحي بأنّها حيادية تماما، لا ترتبط بالواقع المزرى الذي تعاني منه الكفاءات المهاجرة في بلادهم الأصلية، ولا بالأثار السلبية التي تخلفها هذه الهجرة على اقتصاديات الدول النامية، وإنّما تدلُّ على الهجرة الاختيارية لهؤلاء العلماء من أوطانهم نحو البلدان الأكثر تقدُّما.

إنّ الدول المتقدمة تدرك تماما بأنّها تقوم بعملية تفريغ واستنزاف حقيقي للكفاءات القادمة إليها من الدول النامية، وذلك تحت غطاء التبادل الدولي للمهارات.

وفيما يلي نعرض تعريفات هذه المصطلحات، طبقا لتلك التي اوردها مكتب العمل بجنيف[11]:

*) **نزيف الأدمغة**: يحدث نزيف الأدمغة في حالة أن تكون الهجرة من جانب الأشخاص ذوي التعليم العالي، وبشكل دائم أو لفترات طويلة للخارج قد وصلت إلى مستويات كبيرة ولم يتم تعريفها بآثار التغذية العكسية (Feed Back Effects)، الخاصة بالتحويلات ونقل التكنولوجيا والاستثمار أو التجارة. وفي هذه الحالة يقلل نزيف الأدمغة من النمو الإقتصادي من خلال خسارة أو إفتقاد العائد على الاستثمار في التعليم واستنزاف أصول رأس المال البشري للدولة المصدرة.

*) **نزيف العقول الامثل**: يرى بعض الاقتصاديين أنّ الدول النامية تستفيد بقدر صحيح من الهجرة الماهرة، وذلك لأنّ إمكانية العمل بالخارج من أجل أجور أكثر إرتفاعا، تخلق دافعا للتعليم ممّا يؤدي إلى رفع مستويات التعليم المحلي ويدفع النمو الاقتصادي.

*) **تبديد العقول** : ويعني هذا المصطلح أنّه عندما لا تستطيع أسواق العمل بالدول النامية أن توظف مواطنيها بالكامل، فإنّ الهجرة في هذه الحالة، لا تمثل سوى خطرا اقتصاديا محددًا ، خاصة في حال وجود وظائف محدودة للمتخصصين من ذوي الكفاءات الأمر الذي يدفعهم كمهاجرين لقبول وظائف في الدول المضيفة أقل من مستوى تعليمهم .

*) **تدوير العقول** : ويعني هذا المصطلح عودة المهاجرين من ذوي الكفاءات من مواطني الدول المصدرة إلى دولتهم الام، الامر الذي يؤدي إلى إمداد الدولة المصدرة بالمواطنين ذوي التعليم العالي- وإلى الحد الذي يكون هؤلاء المهاجرين أكثر إنتاجية- مما يساهم في رفع إنتاجية الدولة المصدر .

*) **تبادل العقول** : ويعني هذا المصطلح قيام دولة ما بتبادل مهاجريها من ذوي الكفاءات العالية مع دولة أو دول أجنبية أخرى، ويحدث هذا التبادل في العقول عندما تكون خسارة الدولة لكفاءاتها يخفف منها تدفق مكافئ للكفاءات الأجنبية .

*) **عولمة العقول** : يعكس هذا المصطلح انتعاش الحراك الدولي لذوي الكفاءات والمهارات بانتعاش التجارة، حيث يتكامل مستوى معين من الكفاءات مع التجارة، ويتضح ذلك في الشركات متعددة الجنسيات وفي قوى العولمة التي تتطلب بالضرورة حراكا دوليا .

*) **تصدير العقول** : ويعني هذا المصطلح ان بعض الدول النامية تختار أحيانا أن تعلّم وتصدر ذوي الكفاءات العالية منها، سواء كان ذلك في إطار برامج تعاقدية ثنائية، أو في إطار هجرة حرة، ويكون الهدف من هذه الاستراتيجية هو تحسين الموازنة القومية، من خلال عودة المكاسب، وعودة الكفاءات الأكثر خبرة، أو من خلال التحويلات المادية ونقل التكنولوجيا و الاستثمار .

لكن مهما تعدّدت المترادفات فإن المعنى العام يبقى واحدا ويقصد به، انتقال الكفاءات والاشخاص المؤهلين علميا وفنيا من بيئة إلى بيئة أخرى، تتوفر على شروط أفضل للبحث والابتكار والعطاء العلمي وتحقق مستويات معيشية احسن، ويكون بإرادتهم أو مكرهين على ذلك، وبصفة دائمة أو مؤقتة .

وقد ضمن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان حرية جميع الأشخاص في مغادرة أي بلد ، بما في ذلك بلدهم الأصلي ، كما حظر على الدول فرض قيود على حق الفرد في مغادرة اقليمه ، الا في ظروف محدودة جدا .

2 . نشأة ظاهرة هجرة الكفاءات وتطورها

إنّ ظاهرة هجرة العقول ليست حديثة ، بل هي قديمة قدم العلم نفسه ، فلا يخلو زمان من هجرة العلماء لأسباب أملتها ظروف الحياة الانسانية وغذّاها تفاوت التقدُّم الحضاري بين دول العالم المختلفة وتمايزه عبر العصور ، إذ يرجع تاريخها إلى العصور الذهبية للحضارة الإغريقية ، فقد " كانت هجرة الفلاسفة اليونانيون من بلدانهم واتجاههم إلى اثينا فيما بين عامي 600ق .م . و300 ق .م . من أهم الهجرات ، وقد شهدت اثينا في ذلك الوقت تدفق الفلاسفة والعلماء عليها ، ورافقت تلك الهجرات حركة ثقافية كبيرة كان من نتيجتها نمو الحضارة اليونانية ، وتقدم اثينا وازدهارها"[(12)] .

وفي عهد (بطليموس الاول) انتقل كثير من العلماء والأدباء اليونانيين إلى الإسكندرية بسبب أنّ هذا الأخير قد اعطى أهمية كبيرة للعلم والعلماء لإيمانه بأهميتها في حل المشاكل اليومية وتحسين أوضاع الدولة وإزدهارها ، فما كان منه إلا أن تبنى سياسة مستمرة في اجتذاب أفضل الكفاءات إلى الاسكندرية ومكتبتها[(13)] .

لقد قامت العقول المهاجرة بدور رئيسي في الحضارات القديمة حيث تم نقل أهم إنجازات البلد الذي هاجرت منه الى البلد الذي استقرت فيه واوجدت تفاعلا خلاقا بين الحضارات منذ القدم وخاصة بين العلماء والفلاسفة المنتمين إلى مختلف الحضارات التي اختلطت بعضها ببعض .

وفي عصر الحضارة العربية الاسلامية ، حافظ المجتمع الاسلامي في القرون الخمسة الأولى للهجرة النبوية الشريفة على أصحاب العقول المبدعة ، والمهارات المتفوقة في شتى ميادين الحياة . وكان العلماء أحرارا في التجوال في أرجاء الدنيا طلبا للعلم وزيادة في الإطلاع . إذ كانت بغداد تمثّل مركزا للإشعاع ، وصارت قصور الخلفاء والأمراء ملتقى ومنتدى للعلماء من شتى أنحاء العالم ، وخاصة في عهدي الرشيد والمأمون ، حيث أصبح للعلم مكانة كبيرة جدا ، وتبوأ العلماء مكانة رفيعة[(14)] . إذ توجه العلماء المسلمون من

أصقاع الأرض صوب الحواضر الاسلامية مثل دمشق وبغداد والقاهرة وغرناطة طلبا للإمكانات، وتطلعا لفرص أفضل، والملاحظ أنَّ هذه الرحلات أو الهجرات كانت داخلية بمعنى أنّها كانت تتم داخل رقعة الخلافة الاسلامية، نظراً لأنَّ هذه الأخيرة كانت مركز اشعاع علمي وحضاري لكل العالم.

واستمرت هجرة العلماء خلال العهود اللاحقة دون انقطاع لأسباب مختلفة، لكن غالبا ما ارتبط العلم بالرحلات للاستزادة من العلوم وتوسيع المعارف والبحث، ولقد ظل العلم منذ القدم مرتبطا بالرحلة لطلبه وسبر اغواره اينما وجد لذلك سبيلا.

أما خلال الاكتشافات الجديدة للأميركتين، والتي بدأت في عام 1492م، فتحت هجرة الاوربيين للعالم الجديد أفاقا جديدة لملايين البشر. وقد استفادت امريكا من هذه الهجرة، فأصبحت من أقوى دول العالم، وهي اليوم مستمرة في عملية جذب العقول والاستفادة منها.

وبخصوص ظاهرة هجرة العقول العربية، التي بدأت بشكل محدَّد منذ القرن التاسع عشر، وبخاصة في سوريا ولبنان والجزائر وليبيا ومصر، حيث اتجهت هجرة الكفاءات العلمية السورية واللبنانية إلى فرنسا ودول أمريكا اللاتينية، فيما اتجهت الهجرة من الجزائر إلى فرنسا، وليبيا إلى إيطاليا. وفي بداية القرن العشرين إزدادت هذه الهجرة ولاسيما خلال الحربين العالميتين الأولى والثانية، وفي السنوات الخمسين الأخيرة (من القرن العشرين) هاجر ما بين (25% الى 50%) من حجم الكفاءات العربية[15].

وموازاة مع الهجرة العربية، هناك هجرة للعقول المتميزة من الهند وباكستان والصين واليابان، وبعض الدول الافريقية، ولكن اتجاهها دائما من الدول النامية إلى الدول الصناعية الكبرى، مثل بريطانيا وفرنسا وألمانيا وبالأخص الولايات المتحدة الامريكية.

وقد ازداد وعي الدول المتقدمة على الاهمية البالغة لدور العلماء في تطوُّر الحضارة، وفي إزدهار القوة المادية والعسكرية اللازمة للدفاع عن منجزات هذه الدول، ومواجهة تحديات الآخرين لها، فأصبحت مسألة المحافظة على العلماء

والاختصاصيين والفنيين داخل أوطانهم، أو جذب كفاءات الآخرين مسالة حيوية للغاية لأهمية هذه الكفاءات في تحقيق التطوُّر، ولتوفر الحوافز والاغراءات المادية ووسائل الحصول على المعرفة وتطويرها، من مراكز لتطوير البحوث العلمية وانتاج المعرفة.

وتزايد الطلب بشكل كبير خاصة خلال وبعد الحرب العالمية الثانية، والمنافسة بين دول الحلفاء للحصول على أكبر عدد من العلماء لتطوير إمكانياتها العسكرية والاقتصادية، وإعادة بناء ما خلّفته الحرب من دمار.

ويمكن تقسيم مراحل الهجرة العالمية الحديثة إلى مرحلتين[16]:

المرحلة الأولى، بدأت منذ عام 1945م واستمرت حتى عام 1973م، بسبب حاجة أوروبا الغربية إلى العمالة، لتنشيط برامجها الاعمارية، وانتهت هذه المرحلة في عام 1973م بسبب ازمة النفط وانقطاعه عن أوروبا.

المرحلة الثانية، بدأت في منتصف السبعينات، إذ شهدت الدول الصناعية نوعاً جديداً من الهجرة غير المبرمجة، أي أنَّ تلك الدول لم تدع علنا للهجرة، إلاّ أنَّ إعداد المهاجرين إليها لأسباب اقتصادية وسياسية ازداد بشكل لم يسبق له مثيل.

3. أنواع وتصنيفات هجرة الكفاءات

تصنف هجرة الكفاءات- كما يرى ذلك **سينغر هانس** (Singer Hans) ضمن عدة أنواع وأشكال تعاني منها الدول النامية، نستعرضها في الآتي[17]:

1/ **النزيف الخارجي للعقول** (External Brain Drain): وهو النمط الشائع في هجرة العقول، والذي غالبا ما تركز عليه الدراسات المهتمة بهذا الموضوع.

2/ **النزيف الداخلي للعقول** (Internal Brain Drain): ويعرفه **سنغر هانس** (Singer Hans) بأنّه الميل عند علماء وفنيي الدول الفقيرة للتصرف من الناحية العملية، على أساس أنّهم اعضاء في المجتمع العلمي الذي يوجد مركز جاذبيته في الدول الغنية، بدل التصرف كمواطنين في بلدانهم الاصلية.

3/ النزيف الاساسي للعقول (Fundamental Brain Drain) : ويعرفه "سنغر" بأنّه اخفاق العقول البشرية في بلوغ طاقتها وامكاناتها ، نتيجة سوء التغذية الذي يعاني منه الأطفال الصغار في الدول النامية خلال الفترة الممتدة بين الشهر التاسع والسنة الثالثة من أعمارهم ، وهي الفترة التي يتكون خلالها معظم دماغ الإنسان . فكم من الأشخاص في الدول النامية ، تحوّلوا إلى متخلفين عقليا وجسديا ، بدل أن يصبحوا عباقرة وعلماء كبارا ، نتيجة لسوء التغذية والرعاية التي يعانون منها .

ويتوصل سنغر ، إلى القول بأنّ هجرة الأدمغة بأنواعها الثلاثة ، تمثّل عقبة هائلة في طريق التنمية ، أكثر بكثير من القيود التي ركزت عليها نماذج العلماء الكلاسيكيين والمتمثلة بندرة الادخارات والاستثمارات والنقد الاجنبي وغيرها .

يمكن تصنيف الهجرة من حيث الدوافع والمسببات ، أو من حيث أمد الهجرة ، أو من حيث التخصُّص وإمكانات المهاجر العلمية ، كما يلي :

-**من حيث الدوافع والمسببات** : هناك نوعين .

1- هجرة اختيارية : تندرج ضمن التطلُّعات والبحث الفردي عن الأفضل .

2- **هجرة إجبارية(قسرية)** : وبمعنى أدق تهجير ، حيث تفرض قوة خارجية على غير إرادة الأفراد أو الجماعات بمختلف فئاتها وشرائحها ، ومنها العقول مغادرة أوطانها الأم ، إلى وجهة لم تكن مبرمجة سلفا .

-**من حيث أمد الهجرة** : وهي الفترة التي يمكن للكفاءات قضاؤها في البلد المستضيف وهي نوعين .

1-**هجرة دائمة** : وتعني الهجرة دون العودة إلى الوطن الأصلي ، وهي الأكثر خطورة .

2-**هجرة مؤقتة** : وذلك بهدف التحصيل العلمي أو لتحسين المستوى المعيشي ، أو لأسباب سياسية وأمنية ، بحيث يعود المهاجر بعد تحقيق هدفه أو زوال المسببات المؤقتة ، إلى وطنه الأصلي في نهاية المطاف .

-**من حيث التخصص**: وهنا يكون المهاجر منتوجا نهائياً واستغلاله يبدأ مباشرة بعد وصوله إلى البلد المستضيف. أو منتوجا نصف نهائي حيث يخضع إلى مدة إضافية يتم فيها صقله جيدا. ويمكن أن نميز بين صنفين:

1-المتخصصون الذين يهاجرون من الدول النامية إلى الدول المتقدمة بهدف العمل والبحث عن فرص للتألق العلمي والاستفادة من مناخ يحفز على الابتكار ويقدر الابداع. ونقصد بذلك هجرة الاطباء والمهندسين والعلماء والفنيين وغيرهم من الإختصاصيين إلى البلدان الأجنبية.

2-الطلاب الذين يرحلون من الدول النامية إلى الدول المتقدمة بقصد الدراسة والتدريب والتوسع في الخبرة، ولكنّهم يقررون البقاء والعمل في تلك الدول لفترات تتفاوت في مدتها، والامتناع عن العودة إلى أوطانهم الأصلية، نظرا لتوفر شروط البقاء في تلك الدول.

4. واقع وأرقام مفزعة حول ظاهرة هجرة الكفاءات بالبلدان العربية.

إنَّ قلة البيانات والاحصائيات حول ظاهرة الهجرة، وصعوبة تقدير حجمها والتعرُّف بدقة على الأرقام الحقيقية التي تحصر الظاهرة، من بين ما يواجه الباحث من مشاكل في هذا المجال، وعلى الرغم من عدم توافر إحصائيات دقيقة ومتجددة، يمكن لها أن تصف بشكل واقعي دقيق حجم ظاهرة هجرة العقول العربية المتغيرة باستمرار، إلاّ أنَّ ما هو متوفر من إحصائيات مستقاة من بعض الدراسات التي قامت بها جامعة الدول العربية ومنظمة العمل العربية ومنظمة اليونسكو، وعدد آخر من المنظمات الدولية والإقليمية المختلفة، قد تعطي بعض المؤشرات التي يمكن لها مجتمعة الإحاطة بصورة عامة بحجم هذه الظاهرة، وفيما يلي بعض هذه الأرقام والاحصائيات:

إنَّ الدول العربية تساهم في ثلث هجرة الكفاءات من البلدان النامية إلى البلدان المتقدمة، حيث أنَّ (50%) من الأطباء و(23%) من المهندسين و(15%) من العلماء من مجموع الكفاءات العربية المتخرجة من الجامعات العربية يهاجرون متوجهين إلى أوروبا والولايات المتحدة وكندا بوجه خاص، كما يشكّل الأطباء العرب (34%) من مجموع الأطباء العاملين في بريطانيا. وبشكل عام فإنَّ (75%) من الكفاءات العلمية العربية مهاجرة إلى ثلاثة دول تحديدا هي بريطانيا والولايات

المتحدة الامريكية وكندا. وأنَّ (12%) فقط من بلدان العالم تستحوذ على (95%) من العلماء[18].

وأشارت دراسة صادرة عن إدارة السياسات السكانية والهجرة بجامعة الدول العربية خلال السنوات الأخيرة إلى أنَّ مجموع عدد الكفاءات العلمية العربية في الخارج يصل الى أكثر من مليون كفاءة علمية (1091282)، وكشفت الدراسة عن إحصائية تفصيلية لتوزيع نسب هجرة الأدمغة والكفاءات العلمية من الدول العربية على النحو الآتي:

في مقدمتها الجزائر ب (215 ألف و347)كفاءة علمية، يليها المغرب ب (207 ألف و117)كفاءة علمية، ثم مصر ب (147 الف و835) كفاءة علمية، ولبنان ب (110الاف و960) كفاءة علمية، والعراق ب (83الف و465) كفاءة علمية، ثم تونس ب (68 ألف و190)كفاءة علمية، فيما تد كل من سلطنة عمان وقطر الأقل من حيث الكفاءات المهاجرة باجمالي (1012 و1465) كفاءة علمية على الترتيب[19].

إنَّ الخسائر التي منيت بها البلدان العربية من جراء هجرة الادمغة قدر ب (11 مليار) دولار في عقد السبعينات، وأنَّ الدول الغربية هي الرابح الأكبر من (450الفا) من العقول العربية المهاجرة، وأنَّ الخسائر الاجتماعية نتيجة هذه الظاهرة قدرت ب (200 مليار) دولار[20].

وتشير تقارير الجامعة العربية، أنَّ حوالي مائة ألف من أرباب المهن وعلى رأسهم العلماء والمهندسون والأطباء والخبراء، يهاجرون كل عام من ثمانية أقطار عربية، هي لبنان وسوريا والعراق والأردن ومصر وتونس والمغرب والجزائر. كما أنَّ (54%) من الطلاب العرب الذين يدرسون في الخارج لا يعودون إلى بلدانهم، وأنَّ (20%) من خريجي الجامعات العربية يهاجرون إلى الخارج وحوالي (60%) ممن درسوا في الولايات المتحدة الامريكية و(50%) ممن درسوا في فرنسا خلال الثلاثين عاما الأخيرة لم يعودوا إلى بلدانهم[21].

وفي الجزائر، نقلت صحيفة "الحياة" الصادرة يوم 2006/10/11 عن رئيس اتحاد رجال الاعمال الجزائريين" عمر رمضان " قوله: إنَّ الجزائر فقدت في العقد

الأخير أكثر من (40,000) من كفاءاتها العلمية، وأنّ حوالي (3,000) من المهندسين الجزائريين في الإعلام الآلي غادروا الجزائر بين أعوام (1992 و1996)، وأن من بين (10,000) طبيب عربي مهاجر إلى فرنسا هناك (7,000) جزائري يقيم (2,000) منهم في العاصمة باريس، وأشار إلى أنّ هناك (18,000) جزائري في الولايات المتحدة الامريكية بينهم (3,000) باحث في العلوم والتكنولوجيا. وأنّ هجرة الكفاءات الجزائرية لم تعد تقتصر على الدارسين في أوروبا بل امتدت لتطال الباحثين في الجزائر ايضا، بحيث أصبحت الجزائر تحتل المرتبة الثالثة من بين (25 بلد) مصدّر للهجرة إلى كندا [22]. وبذلك أصبحت الجزائر من بين الدول التي توفر للدول الصناعية كفاءات علمية عالية دون مقابل.

وتتضمّن هذه الأرقام العديد من الفئات في مهن وتخصُّصات مختلفة، وتتجلى الخطورة في أنّ عدداً من هؤلاء يعملون في أهم التخصُّصات الحرجة والاستراتيجية مثل الجراحات الدقيقة، والطب النووي والعلاج بالإشعاع، والهندسة الالكترونية والميكرو الكترونية والهندسة النووية، وعلوم الليزر وتكنولوجيا الأنسجة والفيزياء النووية، وعلوم الفضاء والميكرو بيولوجيا والهندسة الوراثية.

إنّ هذا الإستنزاف المتواصل للكفاءات العلمية من بلدان العالم الثالث، والبلدان العربية على الخصوص دليل على الحالة المزرية التي وصل إليها العلماء في هذه البلدان، ولم تكن هذه الهجرة لتتحقق ما لم تتوفر مجموعة من الأسباب، عملت على تغذية الظاهرة وزيادة حجمها عاما بعد عام، تتمثّل في عوامل دفع أو طرد من البلدان الأصل، وعوامل استقطاب وجذب من البلدان المستقبلة.

5. أسباب ودوافع هجرة الكفاءات واثارها السلبية على الدول النامية

تراوحت تفسيرات ظاهرة هجرة الكفاءات بين مدرستين[23]:

1- **المدرسة الفردية**: وهي تعالج ظاهرة هجرة العقول من منظور فردي بالأساس: مؤداه أنّ الكفاءات أفراد متميزون يسعون لتحقيق ذاتهم فكرياً ومهنياً

لضمان ظروف عمل ومعيشة مريحة تكفل لهم حرية التفكير وإمكانية الإبداع. وتحدِّد هذه المدرسة الأسباب الأساسية لهجرة عقول البلدان النامية في الآتي :

-انخفاض مستوى الدخل وتدني مستوى المعيشة.

-الإحباط العلمي والمهني لعدم توافر امكانات البحث العلمي من الكتب والمجلات العلمية والمعدات والأجهزة، والوقت اللازم للبحث، والبنيان المؤسسي للبحث العلمي، والاتصال العلمي الدولي.

-غياب أو تدني حرية الفكر والرأي والأسلوب العلمي لإدارة المجتمع.

كما تطرح المدرسة عوامل مساعدة على هجرة العقول مثل :

-ضعف إنتماء الكفاءات المهاجرة لحضارة بلد الأصل في مواجهة تأثير الحضارة الغربية السائدة، أو قرب حضارة بلد الأصل للحضارة الغربية.

-ضعف علاقات الإنتماء إلى بلد الأصل سواء على المستوى المجتمعي، كما يظهر في حالة الكفاءات التي تنتمي إلى أقليات مضطهدة مثلا، أو على المستوى العائلي والشخصي، ممّا يتعلّق بمدى تماسك العلاقات الاجتماعية.

2- **مدرسة الاقتصاد السياسي** : تتناول هذه المدرسة هجرة العقول من حيث أنّها ظاهرة دولية تمتد جذورها إلى نظام الاقتصاد السياسي الذي يسيطر على العالم، وقيام سوق دولية للكفاءات، من جراء تدهور الحياة المدنية، وتدني الأحوال السياسية والقانونية وتردي الخدمات والأحوال المعيشية.

وتعتبر مدرسة الاقتصاد السياسي، أنّ السبب الجوهري لهجرة العقول والكفاءات يتمثّل في الإرتباط العضوي لبلدان العالم الثالث بمركز النظام الرأسمالي العالمي في دول الغرب المصنعة، في إطار علاقة تخلف وتبعية ذات أبعاد إقتصادية وسياسية وثقافية، ويقوم هذا الإرتباط العضوي على ثلاث دعائم أساسية هي :

- سوق دولية للكفاءات هي إمتداد طبيعي، يحمل معه مزايا فردية ضخمة لسوق العمل ببلدان الاصل.

- خلفية المنافسة الفردية في الإطار الرأسمالي المشوه السائد ببلدان العالم الثالث، والتي تدفع الفرد للسعي لتحقيق اعلى مستوى من الرفاه المادي الخاص.

– نسق التعليم والتأهيل في بلدان العالم الثالث، والتي تمثّل تقليدا أو صورة طبق الأصل لأنساق التعليم العالي في البلدان الرأسمالية المصنعة، مما يهيئ كفاءات من النوع المطلوب للسوق الدولي، بدلا من إنتاجه لكفاءات تواءم الاحتياجات الأساسية لبلدان الأصل.

يقول الدكتور فاروق الباز، وهو من كبار العقول العربية التي هاجرت من مصر منذ ستينات القرن الماضي، والذي يشغل حالياً منصب مدير مركز الاستشعار عن بعد في جامعة بوسطن بعدما عمل لسنوات طويلة مع وكالة الفضاء الأمريكية "ناسا" في مشاريع استكشاف القمر والفضاء، حيث يقول: "أنّ لكل عالم وخبير عربي أسبابه الخاصة التي دفعته للهجرة. وهذه تضاف إلى الأسباب العامة المشتركة في الوطن العربي حيث لا إحترام للعلم والعلماء ولا تتوفر البيئة المناسبة للبحث العلمي والإبداع. وبالتالي فمن الطبيعي أن يبحث العالم العربي وطالب المعرفة عن المكان الذي تتواجد فيه شعلة الحضارة. إذ عندما كان العالم العربي يحمل شعلة الحضارة قبل مئات السنين كان يأتيه المفكرون والخبرات والعقول من كل حدب وصوب، وبما أنّ شعلة الحضارة انتقلت إلى الغرب فمن الطبيعي أن يهاجر الخبراء والعلماء إلى المراكز التي تحتضن هذه الشعلة"[(24)].

ويمكن حصر الأسباب والدوافع المؤدية لهجرة الكفاءات العلمية لأوطانها، في اتجاهين متعاكسين، الاتجاه الأول يضمّ مجموعة العوامل الطاردة أو الدافعة للهجرة، أمّا الاتجاه الثاني، يضمّ مجموعة العوامل المستقطبة للمهاجرين. ونستعرضها في الاتي:

عوامل الطرد: تتمثّل في العوامل السياسية والادارية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

1/ **العوامل السياسية**: عدم الاستقرار السياسي: ففي ظل ظروف عدم الاستقرار السياسي تنعدم حرية العقل وحرية العمل، مما يؤدّي إلى غياب الاستقرار والاطمئنان النفسي وحق الإنسان في التعبير عن الذات بحرية تامة من جهة، ومن جهة أخرى، فإنّ عدم الاستقرار الذي تشهده الأنظمة السياسية من انقلابات وإنجذابات بين أطراف الحكم، يؤثر سلبا على الحياة العلمية.

–القيود السياسية المفروضة على حرية ممارسة البحث العلمي : مما يترتب عليه شعور متزايد بالاغتراب للكفاءات العلمية والفكرية داخل أوطانها . ونظرا للطبيعة الأمنية والتسلطية للأنظمة السياسية الحاكمة في العديد من الدول النامية، فقد يتدخل النظام الحاكم بفرض رقابة مشدّدة على تحديد نوعية البحوث العلمية، خدمة لتوجهاته السياسية، ولا نقصد بها الرقابة العلمية، وإنّما الرقابة السياسية والفكرية لتحرّكاتهم وتوجهاتهم، فالأنظمة التسلطية الشمولية تعتبر الكفاءات من مواطنيها خطرا على أجهزتها ،وقد يؤدي إلى مصادرة نتائج البحث أو منعها من النشر، ممّا يشكّل عائقاً أمام الباحث للوصول إلى معالجة أي ظاهرة بموضوعية وتقديم الحلول العلمية المناسبة، خاصة البحوث في مجال العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية.

إنّ الفساد السياسي وغياب الديمقراطية وتزايد القمع وانتهاكات حقوق الانسان، وتهميش الباحث من قبل القيادات السياسية، والرقابة الذاتية على الفكر، ومحاولات صهر المفكرين في أجهزة المؤسّسات الحكومية، كلها تؤدّي وبدون تردُّد إلى الهجرة، في أول فرصة تتاح أمام تلك الكفاءات.

2. **العوامل الادارية**: انتشار الرشوة والفساد والمحسوبية: إنّ الذهنية القبلية والعشائرية التي ما تزال تسيطر على المجتمعات في الدول النامية ومنها بالخصوص الدول العربية، لا تهمها المصلحة العامة بقدر ما يهمها تسليم المناصب للقرابة، وهذا ما يولد شعوراً بالإحباط لدى المتعلمين من أصحاب الشهادات العليا، مما يدفعهم إلى الهجرة قسرا.

– الأمراض البيروقراطية المنتشرة داخل أجهزة إدارية تقليدية عفى عليها الزمن لا تؤمن بالتغيير ولا تقدر دور الكفاءات في التنمية. بالإضافة إلى صعوبة وصول الكفاءات إلى احتياجاتهم العلمية بسبب الروتين والمركزية الشديدة.

3/ **العوامل الاقتصادية**: المستوى المعيشي المنخفض للكفاءات، مقارنة مع الإطارات السياسية والاقتصادية والثقافية وحتى الرياضية، ومقارنة بدخل البيروقراطيين المتربعين على المؤسّسات الانتاجية والاجتماعية، وفي المقابل يفرض على الكفاءات القبول بالمستوى الأدنى والمنزل المتواضع الذي لا يحصل عليه إلاّ

بصعوبة كبيرة، والحياة التقشفية. وتندرج أغلب الكفاءات تحت ظل أصحاب الدخول الثابتة.

-انتشار البطالة في صفوف خريجي الجامعات والمعاهد العليا، فبعد أن يتم صرف أموال ضخمة لتكوين تلك الموارد البشرية الجامعية، تجد هذه الأخيرة نفسها أمام شبح البطالة، مما يدفعها إلى الهجرة بعيدا عن أوطانها، حيث تشير التقديرات إلى أنَّ تفاقم ظاهرة البطالة مع مرور الزمن واستمرار الفجوة بين معدلات النمو السكاني والنمو الاقتصادي سيزيد من عوامل الطرد.

4/ **العوامل الاجتماعية والثقافية والعلمية**: عدم ثقة المثقفين في المؤسَّسات الثقافية الرسمية، وعجز المجتمع عن استيعاب الطاقات الابداعية.

-إنَّ أسلوب وأنماط الحياة المعيشية السائدة، تبرز عدم تكيف الكفاءات مع ذلك الواقع. ويرى بعض الباحثين أنَّ من الأسباب الرئيسية لهجرة الكفاءات هو،" حالة الركود في تطوُّر القوى المنتجة، حيث بقيت وسائل الإنتاج متمثلة في الصناعة والزراعة وصيد الأسماك والرعي وغيرها دون تغيير، وحرمان السكان من أبسط الخدمات الانسانية، كتوفير مياه الشرب والكهرباء والرعاية الصحية"[25]. كما أنَّ تكيف الكثير من حاملي الشهادات العليا مع الحياة في الدول الأجنبية التي درسوا بها، جعلهم يفضلون البقاء هناك.

-وجود حالة إفتقار إلى الوسائل والامكانيات في مجال البحث العلمي، وقلة الانفاق عليه.

-الاعتماد الكبير على الخبرات الفنية الأجنبية على حساب الكفاءات الوطنية. بالإضافة إلى وجود تفرقة بين خريجي الجامعات الوطنية والاجنبية، مما شجع على الدراسة بالخارج.

-إنعدام التوازن في النظام التعليمي، أو فقدان الأرتباط بين أنظمة التعليم ومشاريع التنمية.

-عدم تقدير العلم والعلماء، إذ يكون اهتمام الحكومات أو حتى الشعوب، بلاعب كرة قدم أو مغني، وتعلّق لهم الأوسمة والميداليات ويحضون بالتكريم والثناء، ويتم تهميش حاملي الشهادات العليا.

عوامل الجذب:إنّ الجوانب السلبية المتفشية في دول العالم الثالث والدافعة للهجرة، كما سبق بيانه، تقابلها مجموعة من الجوانب الايجابية في الدول المتقدمة، التي تمثّل عوامل جذب واستقطاب للكفاءات المهاجرة.

ورغم وقوف الدول الغربية ضدّ هجرة مواطني الدول النامية اليها، إلاّ أنّها تتبنى سياسات مخططة ومدروسة بدقة لاجتذاب أصحاب الكفاءات والمهارات الخاصة من هذه الدول، وعلى سبيل المثال، أصدر الكونغرس الأمريكي قرارا بزيادة تصريحات الحصول على بطاقة الإقامة للخريجين الأجانب في مجالات التكنولوجيا المتطورة من (90الفا) في السنة إلى (150الفا) ثم إلى (210الاف) خلال سنة 2015 [26].

ومثل ما وجدت هناك عوامل تدفع الكفاءات إلى مغادرة أوطانها الأصلية لأسباب إما سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو علمية، هناك في الجهة المقابلة، عوامل جذب تغري هؤلاء إلى التوجه- وبدون تردُّد- نحو البيئة التي تجعلهم أكثر راحة واستعدادا لتقديم أفضل ما لديهم في مجال البحث والعطاء العلمي. ويمكن حصر مجموعة من عوامل جذب واستقطاب الكفاءات في ما يلي:

-توفر أجواء الديمقراطية والحرية والإستقرار السياسي، ممّا شجع الكفاءات على البقاء في تلك الأجواء، التي تبعث في النفس الراحة والطمأنينة.

-توافر إمكانات البحث العلمي، سواء ما تعلّق بمناخ البحث العلمي السائد أو الإمكانات المادية من معامل ومختبرات ووسائل بحث مختلفة.

-إهتمام المجتمعات المتقدّمة بالعلم والعلماء، ما يعطي للكفاءات العلمية شعورا إيجابيا بإمكانية تحقيق ذاتها وطموحاتها العلمية.

-اهتمام الحكومات بتوفير التمويل الكافي للبحث العلمي.

-إرتفاع معدلات الأجور وكثرة الحوافز المادية والأدبية للمبدعين والمخترعين، وتوفير وسائل عيش مناسبة لهم.

-وجود أنظمة تعليمية حديثة ومتطوّرة.

-إتاحة الفرص لأصحاب الخبرات في مجال البحث العلمي والتجارب التي تثبت كفاءاتهم وتطوُّرها من جهة، وتفتح أمامهم أفاقا جديدة أوسع وأكثر عطاء من جهة أخرى[27].

6 . الاثار السلبية لظاهرة هجرة الكفاءات

إنَّ نزيف الأدمغة العلمية يعدُّ من أهم وأخطر المشاكل التي تواجه التنمية في العالم الثالث ، إذ تفقد تلك الدول رأسمال بشري مؤهل انفقت على تعليمه وتدريبه الأموال الضخمة ، لتجده في نهاية المطاف منتوجا نهائياً يتم استقطابه من قبل الدول المتقدِّمة التي هيأت له الظروف الملائمة لاستغلال أفكاره وبحوثه العلمية ، وتطوير مجتمعاتها ورقيها .

ومن أهم الاثار السلبية لنزيف العقول

1/ ضياع الجهود والطاقات الانتاجية والعلمية لهذه العقول لصالح البلدان المتقدمة ، بينما تحتاج التنمية في العالم الثالث لمثل هذه العقول في مجالات الاقتصاد والتعليم والصحة والتخطيط والبحث العلمي ، وهي بذلك تساهم بفعالية في تقدم البلدان الصناعية وتتوسع الهوة بينها وبين العالم الثالث الذي يبقى يدور في حلقة التبعية .

2/ تبديد الموارد الإنسانية والمالية التي انفقت في تعليم وتدريب الكفاءات التي تحصَّلت عليها البلدان المتقدِّمة دون مقابل .

3/ تخلف حقول المعرفة في العالم الثالث وفي إضعاف الفكر العلمي والعقلاني وعجزه عن مجاراة الإنتاج العلمي العالمي وعلى برامج التنمية ، ممَّا يزيد في توسيع التخلف السائد أصلا في هذه المجتمعات ، بعدما أصبح مقياس التقدُّم متصلاً إتصالاً وثيقا بمدى التقدم العلمي وانتاج المعرفة .

4/ الخسائر المالية الضخمة التي تلحق اقتصاديات البلدان في العالم الثالث ، حيث ذكر تقرير البنك الدولي لعام 2005 ، أنَّ هناك حوالي (200 مليون) شخص يعيشون خارج أوطانهم الأصلية ، وتبلغ تقديرات تحويلاتهم المالية إلى تلك البلدان حوالي (225 مليار) دولار في عام 2005 ، مما يعتبر أكثر بكثير من المساعدات الأجنبية التي تتلقاها الدول النامية .

5/ توسيع الهوة بين الدول الغنية والدول الفقيرة ، لأنَّ نزيف الأدمغة يعطي الدول المتقدِّمة فوائد كبيرة ذات مردود اقتصادي مباشر ، بينما تشكِّل بالمقابل

خسارة صافية للبلدان التي نزح منها أولئك العلماء، خاصة وأن التكنولوجيات، والاختراعات التي أبدعها هؤلاء العلماء تعتبر ملكا خاصا للدول الجاذبة لهم[28].

6/ تكريس التبعية للبلدان المتقدّمة وتأهيلها في إتجاهات خطط التنمية غير المدروسة، وتبرز مظاهر التبعية في هذا المجال بالإعتماد على التكنولوجيا المستوردة، والتبعية الثقافية والإندماج في سياسات تعليمية غير متوافقة مع خطط التنمية من خلال تفضيل الكم على النوع في هذا الميدان[29].

7/ استنزاف شريحة هامة وفاعلة من الواقع الاقتصادي والاجتماعي للدول المصدرة للكفاءات، في الوقت الذي هي بحاجة لتلك الموارد والطاقات البشرية الديناميكية المؤهلة والقادرة عل النهوض بالأعباء التنموية، في مواجهة التخلف الذي مازال منذ أمد بعيد يعايش تلك البلدان.

8/ الإعتماد على الخبرات الأجنبية في البناء التنموي، بتكلفة اقتصادية مرتفعة جدا، وهنا تجد الدول المصدرة للكفاءات نفسها أمام خسارة مزدوجة، فهي من جهة تنفق أموالا طائلة في سبيل تعليم وتدريب تلك الكفاءات، ومن جهة أخرى ونظراً لسوء استغلال تلك الكفاءات، تقوم باستقدام الخبرة الاجنبية بتكلفة باهضه.

ونظراً لاستفحال ظاهرة نزيف الكفاءات من دول العالم الثالث التي هي بحاجة ماسة إلى تنمية شاملة، فإنّ الخطورة التي تشكّلها هذه الظاهرة على المخططات التنموية تتطلب ايجاد حلول للحد منها، وسن التشريعات الجادة لاستعادة تلك الكفاءات وتمكينها من المشاركة في بناء أوطانها بدلا من تركها للدول المتقدمة تستعملها لتحافظ على ريادتها.

خاتمة

في ضوء ما تقدّم فإنّ معضلة هجرة العقول أو نزيف الأدمغة أضحت مشكلة مزمنة تعاني منها بلدان العالم الثالث على الخصوص، وهي واحدة من أهم القضايا العالمية التي تشغل الرأي العام في كافة المجتمعات ودون استثناء، وأن هذه الهجرة تؤثر تاثيراً واضحا على الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والعلمية والسياسية

والعسكرية والأمنية لتلك الدول، لا سيما وأنّ المعرفة العلمية في دول العالم المتقدّم اعتبرت كثروة وقوة، وحددت أطر التعامل معها بتشريعات وقوانين شاملة.

إنّ العالم اليوم أصبح قائماً على المعرفة والذي يرتكز بالدرجة الأولى على عنصر المنافسة على الكفاءات البشرية، ويتوقف ذلك على مدى قدرة كل دولة على حسن استثمار كفاءاتها، وتضيف هذه الظاهرة عبئا جديداً لتداعيات وتأثيرات استمرارها، مما يتطلّب من جهات صنع القرار السياسي والاقتصادي والعلمي في بلدان العالم الثالث العمل وبصدق للتقليل من هذه الظاهرة في المدى الاستراتيجي القريب.

ومن أجل الحد من هذه المعضلة ودفع عملية التنمية إلى الأمام، فإنّ على الحكومات في البلدان النامية الإسراع بوضع استراتيجية محكمة للتصدّي لظاهرة هجرة الكفاءات، ووضع خطط واضحة المعالم وسياسات رشيدة تعمل على استرجاع ثرواتها البشرية وتوطينها من خلال القضاء على عوامل الدفع سواء ما تعلّق منها بالجانب السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي والعلمي، وتوفير عوامل الجذب بخلق بيئة مناسبة للبحث والعطاء العلمي واحترام الحريات الاكاديمية.

من جهة أخرى على الحكومات أن تقوم بإعداد قاعدة بيانات تخصُّ الكفاءات المهاجرة، حتى تتمكّن من رصد الأعداد الحقيقية لهؤلاء المهاجرين واحصاء تخصُّصاتهم وأماكن تواجدهم ليتسنى الإتصال بهم في أي لحظة قررت فيها الحكومات الاعتماد عليهم في عملية التنمية.

وأهم من ذلك كله، فإنّ المعالجة الوحيدة القادرة على وضع حد لظاهرة هجرة الكفاءات هي توفر الارادة السياسية، فإنّ كل القرارات بعودة الكفاءات إلى أوطانها تبقى مجرد شعارات ترفع في مختلف المناسبات. إلا في حالة واحدة وهي أن تؤمن الحكومات والقيادات السياسية بالدور الحاسم للكفاءات العلمية في إحداث التغيير المناسب والايجابي في مجتمعاتها وتؤمن أيضا أنّ الثروة الحقيقية للمجتمع هي علماؤها.

هوامش

1) فتحي سرحان، نزيف الادمغة العربية المهاجرة وادارة استثمارها بين الجنة المفقودة والموعودة. القاهرة: مكتبة الشريف ماص للنشر والتوزيع، 2011. ص06.

2) محمد ربيع، هجرة الكفاءات العلمية. الكويت: مطبوعات جامعة الكويت. ص 11.

3) الرازي، محمد بن ابي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح. بيروت: دار التنوير العربي، 1984. ص 790.

4) الفصل منذر، إهدار الحريات الاكاديمية وهجرة العقول العراقية، مجلة الحوار المتمدن الالكترونية، عدد: 148، 2002. على الموقع الالكتروني: http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=1548

5) نادر فرجاني، هجرة الكفاءات من الوطن العربي في منظور استراتيجية لتطوير التعليم العالي. مصر: مركز المشكاة للبحث، 2000. ص 03.

6) ميسون زكي فوجو، استراتيجيات التنمية البشرية ودورها في الحد من ظاهرة هجرة الكفاءات العلمية في فلسطين (دراسة حالة قطاع غزة)، رسالة ماجستير، تخصص ادارة اعمال، الجامعة الاسلامية، غزة. 2012. ص 11.

7) العربي اشرف " نحو بيئة جاذبة لراس المال البشري في ظل اقتصاد المعرفة" **مجلة اقتصاد المعرفة**، جامعة القاهرة: مركز دراسات وبحوث الدول النامية، **2006**. ص186.

8) مرسي محمد عبد العليم، نزيف العقول البشرية. الرياض: عالم الكتب، الطبعة الاولى، 1982. ص38.

9) الاتحاد البرلماني العربي، مذكرة الامانة العامة حول جوهر الادمغة العربية- وضع سياسة واضحة لاستيعاب الكفاءات العربية والحد من هجرتها إلى الخارج، **مجلة البرلمان العربي**، **السنة22**، **العدد :82**، **ديسمبر 2001**. على الموقع الالكتروني: http://www.arab-ipu.org/publications/journal/v82/memobrain.html.

10) فتحي سرحان، مرجع سابق. ص 4.

11) نفس المرجع. ص 7-8.

12) نفس المرجع. ص12.

13) زين الياس، هجرة الادمغة العربية. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1972. ص24.

14) نفس المرجع. ص24-25.

15) اكرم الياس، هجرة العقول العربية للغرب. بيروت: دار الجيل للطباعة، 1998. ص25.

16) ابراهيم عبد الخالق رؤوف، كفاح يحيى صالح العسكري، دراسة ظاهرة هجرة العقول...اسبابها، علاجها من وجهة نظر التدريسيين والتدريسيات في كلية التربية، الجامعة المستنصرية، **مجلة كلية التربية، العدد الثاني، 2007**. ص221.

17) نفس المرجع . ص228 .

18) محمد عبد الله المنصوري ، عبد العالي بوحويش الدايخ ، هجرة العقول العربية اسبابها واثارها الاقتصادية ، مؤسسة الفكر العربي .على الموقع الالكتروني : http://www.arabthought.org/

19) تامر علي احمد واحمد عاطف طه حسين ،هجرة العقول البشرية العربية الى الغرب . . .واقع مخيف وامال ممكنة ، ندوة الشباب والهجرة ، تونس : ديسمبر 2012 . جامعة الدول العربية . ص3-4 .

20) ابراهيم عبد الخالق رؤوف وكفاح يحيى صالح العسكري ، مرجع سبق ذكره . ص221-222 .

21) تامر علي احمد واحمدعاطف طه حسين ، مرجع سابق . ص04 .

22) ميسون زكي فوجو ، مرجع سابق . ص15 .

23) نفس المرجع . ص19 .

24) منى محروس ، نزيف العقول . .مأساة عربية متجددة . مفكرة الاسلام الالكترونية . على الموقع :
http://islammemo.cc/Tahkikat/Tahkekat/2007/03/08/36092.html

25) محمد جعفر زين ، هجرة العقول في اطار التحولات الاجتماعية الجارية في اليمن ،ندوة هجرة الكفاءات العربية ، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية . ص155 .

26) نصر الدين محمد ابو غمجة ، هجرة العقول العربية مقترحات عملية ورؤى مستقبلية للمواجهة ، **مجلة الدراسات المستقبلية ، جامعة السودان للعلوم والتيكنولوجيا ، المجلد 17 ، رقم01 ، 2016** . ص14 .

27) عبد الرحمن منذر ، الفجوة المعرفية بين الشمال والجنوب ، بيروت :الدار الدولية للنشر والطباعة ،2002 . ص126 .

28) الاتحاد البرلماني العربي ، **مجلة البرلمان العربي ، العدد 22 ، ديسمبر2001** . ص03 .

29) نصر الدين أبو غمجة ، مرجع سابق . ص18 .